# شرك الأوائل وشرك الأواخر

## دراسة مقارنة

أبو عبدالله ياسين مبارك

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة



# شِرْكُ الأوائلِ وشِرْكُ الأواخرِ دِراسَةٌ مُقارَنَةٍ

كتبه: أبو عبد الله ياسين مبارك.

**المقدمة:**

الحمدُ للهِ الَّذي نوَّر قُلوبَ الموحِّدينَ بنُورِ التَّوحِيدِ، فَأَشْرَقَتْ باليقينِ والإِخْلاصِ، وأَظلَمَت قُلوبُ المشركينَ بِدَياجِيرِ الباطلِ والِالْتِبَاسِ، فكان التوحيدُ حياةَ الأرواحِ، وزَادَ الأفئدةِ، وسَببَ النَّجاةِ، وكان الشِّركُ هَلاكًا مُحقَّقًا، ورِجسًا مُطبِقًا، ودَاءً عُضالًا لا يَبرأُ منه صَاحبُه إلَّا بالإنَابةِ إلى اللهِ الواحدِ الديَّانِ.

بعثَ اللهُ رُسلَه دعائمَ هُدى، وأئمَّةَ رُشدٍ، يَهدِمُون صُروحَ الوثنيَّةِ، ويُزلزِلون عُروشَ الطُغيانِ، حتَّى تَهاوتِ الأصْنامُ تحتَ أقدامِهم، وتبدَّدت ظُلُمَاتُ الشِّركِ بأَنوارِ الوحيِ، وارتفعت مناراتُ التوحيدِ خفَّاقةً في الآفاقِ.

وأشهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، إلهَ الأوَّلينَ والآخِرينَ، وربَّ العالمينَ، وأشهَدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه، بعثَه اللهُ بالهُدى ودينِ الحقِّ، فدوَّت دعوتُه بالتوحيدِ في المشارقِ والمغاربِ، فزلزلَت بها عروشُ الباطلِ، واندكَّت معاقلُ الجاهليَّةِ بسلطانِ الحجَّةِ ونورِ الوحيِ، وانكسرت الأصنامُ صاغرةً ذليلةً تحت سنابكِ جندِ اللهِ، وتلاشت الظلماتُ بضياءِ الكتابِ المبينِ، صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِه وصحبِه أجمعينَ، الَّذينَ نصروا التوحيدَ وجاهدوا في اللهِ حقَّ جهادِه، فجدَّدوا معالمَ الهدى في كلِّ عصرٍ ومصرٍ، ولا تزالُ في الأمَّةِ طائفةٌ قائمةٌ على تجديدِ هذا الأصلِ العظيمِ، وكشفِ وجوهِ الانحرافِ، ليبقى التوحيدُ خالصًا مصونًا من شوائبِ الشركِ والبُهتانِ،

www.alukah.net
شبكة الألوكة



**أمَّا بعدُ:**

فإذا كان التوحيدُ هو أعظمَ ما بُعِثَت به الرُسلُ، والشَركُ هو أغلظُ ما حاربتْه دعواتُهم، فإنَّ هذا المقالَ يأتي للكشفِ عن أوجهِ المقارنةِ بين شركِ المتأخرينَ وشركِ الأوائلِ؛ إذ إنَّ الشركَ – على وِحْدةِ أصلِه وحقيقته – تتفاوتُ مراتبُه قبحًا وغلظةً بحسبِ متعلَّقاتِه وصُوَرِه.

فقد كان المشركون الأوائلُ يتوجَّهون بعبادةِ الأصنامِ والأوثانِ، يبتغون بها الزُّلفى عند اللهِ والشَّفاعةَ لديه، غير أنَّ كثيرًا من المتأخرينَ وقعوا في نظائرِ ذلك، بل جاوزوه في مواطنَ أخرى، حتَّى وقعوا في ما هو أغلظُ وأقبحُ، فغاصوا في ظُلماتٍ أشدَّ سوادًا، وتَردَّوا في دَركاتٍ أَنْكى وأَعمقَ، ولا سِيَّما في أعظمِ أبوابِ العِبادةِ: بابِ الدُّعاءِ، لُبِّ العبوديَّةِ ورُوحِها، وسِرِّها الذي به حَياتُها.

ومن هنا تتجلَّى أهميَّةُ هذا المقالِ؛ إذ يبيِّن للقارئ أنَّ الانحرافَ عن التوحيدِ لم يكن طيفًا عابرًا، ولا حادثًا مؤقَّتًا يخصُّ قومًا مضَوا، وإنَّما هو داءٌ قديمٌ متجدِّدٌ، كلَّما خبت نارُه في زمنٍ أذكى الشيطانُ جمرَه، فإذا هو جحيمٌ يتأجَّجُ من جديدٍ، كما يظهر أنَّ شركَ المتأخِّرينَ قد يشتدُّ في مواطنَ، بينما يكونُ شركُ الأوائلِ أغلظَ في مواطنَ أخرى، مع اتحادِ الجميعِ في أصلِ الباطلِ الذي خالفوا به دعوةَ الرسلِ.

وينبغي التنبيهُ إلى أنَّ هذه الموازنةَ ليست من كلِّ وجهٍ بين أهلِ الشركِ قديمًا وحديثًا، وإنَّما هي مقصورةٌ على بابِ الشركِ خاصَّةً دون غيرِه من أحوالِهم وأوصافِهم.

**وتتجلَّى الفائدةُ من هذا المقالِ في:**

- بيانِ حالِ مشركي زمانِنا، وأنَّهم أغلظُ شركًا من الأوائلِ في أعظمِ أبوابِ العبادةِ؛ وهو بابُ الدعاءِ.
- بيانِ أنَّ الشركَ بعضُه أغلظُ من بعضٍ، وبعضُه أقبحُ من بعضٍ.
- بيانِ أنَّ الكفَّارَ يتفاوتونَ في كفرِهم وشركِهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة



- بيانِ أنَّ الشركَ لا يُشترطُ فيه القلَّةُ أو الكثرةُ حتَّى يُسمَّى شركًا، ولا يُشترطُ في المشركِ أن يُشركَ أكثرَ أهلِ زمانِه أو غالبَهم.

وإليك تفصيلُ ذلك في فرعينِ رئيسينِ، تظهرُ بهما معالمُ المقارنةِ، ويتبيَّنُ بهما مقدارُ التفاوتِ، ويتَّضحُ بهما وجهُ الحقِّ، وتنكشفُ الحُجَّةُ؛ وهما:

**أوَّلُهما**: بيانُ أنَّ مشركي زمانِنا أغلظُ شركًا من شركِ الأوائلِ.

**وثانيهما**: بيانُ أنَّ شركَ الأوائلِ كان أغلظَ من شركِ المتأخرينَ من جوانبَ أخرى.

## الْفَرْعُ الْأَوَّلُ: بَيَانُ أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِنَا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنْ شِرْكِ الْأَوَّلِينَ:

لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ تَأَمَّلَ أَحْوَالَ الْمُشْرِكِينَ أَنَّ شِرْكَ مُتَأَخِّرِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أَغْلَظُ وَأَشَدُّ مِنْ شِرْكِ مَنْ سَبَقَهُمْ؛ إِذْ تَجَلَّتْ صُوَرُ انْحِرَافِهِمْ فِي مَشَاهِدَ مُتَكَرِّرَةٍ، تَنْطِقُ بِفَسَادِ الْمُعْتَقَدِ وَفَسَادِ الْقُلُوبِ، وَتَهْتِفُ بِأَنَّهُمْ غَاصُوا فِي أَوْحَالِ الشِّرْكِ أَعْمَقَ مِنْ أَسْلَافِهِمْ .

فَإِذَا تَدَبَّرَ النَّاظِرُ تَفَاصِيلَهَا رَآهَا ظُلُمَاتٍ مُتَرَاكِبَةً تَحْجُبُ نُورَ الْبَصِيرَةِ، وَدَرَكَاتٍ يَهْوِي إِلَيْهَا أَصْحَابُهَا بِغَيْرِ زِمَامٍ، وَنَارًا تَتَأَجَّجُ كُلَّمَا خَبَتْ أَوْقَدَهَا الشَّيْطَانُ؛ لِتُحْرِقَ الْفِطْرَةَ وَتَكْوِيَ الْعُقُولَ .وَيَتَّضِحُ هَذَا التَّفَاوُتُ عِنْدَ النَّظَرِ فِي وُجُوهٍ عِدَّةٍ، أَبْرَزُهَا:

### أَوَّلًا: مِنْ جِهَةِ حَالِهِمْ فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّةِ:

كَانَ الْمُشْرِكُونَ الْأَوَّلُونَ يَتَأَرْجَحُونَ بَيْنَ الشِّرْكِ وَالتَّوْحِيدِ تَبَعًا لِأَحْوَالِهِمْ: فَفِي الرَّخَاءِ يُغْرِقُونَ فِي الشَّهَوَاتِ، وَتَتِيهُ قُلُوبُهُمْ فِي الْأَوْهَامِ وَالْغَفَلَاتِ، فَإِذَا نَزَلَتْ بِهِمُ الْكُرُوبُ، وَاشْتَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْخُطُوبُ، وَهَاجَتْ أَمْوَاجُ الْبَحْرِ مِنْ حَوْلِهِمْ، أَيْقَظَتِ الْمَصَائِبُ وِجْدَانَهُمْ، فَارْتَجَفَتْ قُلُوبُهُمْ، وَانْكَسَرَتْ نُفُوسُهُمْ، وَتَوَجَّهُوا إِلَى رَبِّهِمْ وَحْدَهُ بِالدُّعَاءِ وَالِالْتِجَاءِ، كَمَا **قَالَ تَعَالَى**: { قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (63) قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ (64) } [1]

(1) [ سورة الأنعام: (64) ]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا (67) } [1]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: { قُلْ أَرَأَيْتُكُم إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (40) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاء وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ (41) } [2]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: { وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (8) }[3]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: { وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (32) }[4]

أَمَّا مُشْرِكُو زَمَانِنَا فَإِنَّهُمْ يَزْدَادُونَ تَمَادِيًا فِي شِرْكِهِمْ مَعَ مَرُورِ الزَّمَنِ، فَلَا يَقْتَصِرُ شَرُّهُمْ عَلَى أَوْقَاتِ الرَّخَاءِ فَقَطْ، وَلَا يَخِفُّ عِنْدَ الشِّدَّةِ وَالِابْتِلَاءِ.

فَفِي الرَّخَاءِ، يُغْرِقُونَ فِي الشَّهَوَاتِ وَالْأَهْوَاءِ كَمَا يُغْرِقُ الْأَوَّلُونَ، وَلَكِنْ عِنْدَ نَوَائِبِ الْمَصَائِبِ لَا يَلُوذُونَ بِرَبِّهِمْ، وَلَا يَرْتَجِفُ ضَمِيرُهُمْ، بَلْ يَزِيدُهُمُ الْبَلَاءُ عِنَادًا وَغَفْلَةً، فَتَغْشَى قُلُوبَهُمُ الظُّلْمَةُ، وَيُعْمِي عَنْهُم نُورُ الْهُدَى، حَتَّى كَأَنَّ نَوَائِبَ الْحَيَاةِ لَمْ تَكُنْ إِلَّا مَطِيَّةً لِإِظْهَارِ صَلَابَتِهِمْ فِي الضَّلَالِ، وَبَرَاعَةِ قُلُوبِهِمْ فِي التَّمَادِي عَلَى الْغَوَايَةِ.

هُمْ كَالْجِبَالِ الرَّاسِيَةِ فِي عَوَاصِفِ الْبَاطِلِ، لَا تُزَلْزِلُهَا الرِّيَاحُ، وَلَا تُزَعْزِعُهَا نَوَائِبُ الْمَصَائِبِ، بَلْ تَزْدَادُ ثَبَاتًا عَلَى أَهْوَاءِ النَّفْسِ، وَعِنَادًا فِي عِنَادِهَا، لَا يَفْضَحُ لَهُمُ الْخَطَرُ زَيْفَ قُلُوبِهِمْ، وَلَا تَكْشِفُ لَهُمُ الشَّدَائِدُ ضَعْفًا أَوْ مَيْلًا لِلْحَقِّ، فَتَظَلُّ أَغْلَالُ الْغَفْلَةِ مُتَجَذِّرَةً، وَأَلْوَانُ الضَّلَالِ تَتَفَنَّنُ فِي ثَبَاتِهَا، كَمَا لَوْ أَنَّ قُلُوبَهُمْ صُمَّتْ عَنْ نُورِ الْحَقِّ وَأُقْفِلَتْ كُلُّ مَنَافِذِ الرُّجُوعِ.

---

(1) [ سورة الإسراء: (67) ]
(2) [ سورة الأنعام: (40-41) ]
(3) [ سورة الزمر: (8) ]
(4) [ سورة لقمان: (32) ]

www.alukah.net
شبكة الألوكة



**ثَانِيًا: مِنْ جِهَةِ الْمَعْبُودَاتِ الْمَدْعُوَّةِ:**

إِنَّ الْمُشْرِكِينَ الْأَوَّلِينَ كَانُوا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ أُنَاسًا مُقَرَّبِينَ: إِمَّا نَبِيًّا، أَوْ وَلِيًّا، أَوْ مَلَكًا، أَوْ يَدْعُونَ أَحْجَارًا وَأَشْجَارًا مُطِيعَةً لِلَّهِ لَيْسَتْ بِعَاصِيَةٍ.

وَأَمَّا مُشْرِكُو زَمَانِنَا فَيَدْعُونَ أُنَاسًا مِنْ أَفْسَقِ الْخَلْقِ وَأَشَدِّهِمْ كُفْرًا، يُحْكَى عَنْهُمُ الْفُجُورُ مِنَ الزِّنَا وَالسَّرِقَةِ وَتَرْكِ الصَّلَاةِ، وَيَزْعُمُونَ لَهُمُ الْكَرَامَاتِ وَسُقُوطَ التَّكَالِيفِ عَنْهُمْ، مِنْ مُلْحِدَةِ الصُّوفِيَّةِ كَالْبَدَوِيِّ وَالْحَلَّاجِ وَابْنِ عَرَبِيٍّ وَأَضْرَابِهِمْ، فَيُعَظِّمُونَ مَنْ هُوَ مَمْقُوتٌ مَذْمُومٌ فِي الشَّرْعِ .

وَمَنْ دَعَا مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ كَانَ فَهُوَ كَافِرٌ صَارِفٌ حَقَّ رَبِّ الْعَالَمِينَ لِغَيْرِهِ، وَكَوْنُ ذَلِكَ الْمَصْرُوفِ لِنَبِيٍّ أَوْ وَلِيٍّ لَا يُخْرِجُهُ عَنِ الشِّرْكِ، وَلَكِنَّهُ أَهْوَنُ مِمَّنْ عَظَّمَ فَاسِقًا أَوْ كَافِرًا؛ لِأَنَّ الْأَوَّلِينَ عَظَّمُوا مَنْ لَهُ قُرْبٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَمَّا هَؤُلَاءِ فَقَدْ عَكَسُوا الشَّرْعَ، فَجَعَلُوا الْفُجُورَ وَالضَّلَالَ كَرَامَةً وَفَضْلًا، فَصَارَ شِرْكُهُمْ أَغْلَظَ وَأَعْظَمَ، وَإِنْ كَانَ الْكُلُّ شِرْكًا وَكُفْرًا وَضَلَالًا.

**ثَالِثًا: مِنْ جِهَةِ الْمَقْصُودِ بِالدُّعَاءِ وَالْعِبَادَةِ:**

غَالِبُ الْمُشْرِكِينَ الْأَوَّلِينَ كَانُوا يَتَوَجَّهُونَ إِلَى مَعْبُودَاتِهِمْ بِقَصْدِ طَلَبِ الشَّفَاعَةِ وَالْقُرْبَةِ، دُونَ اعْتِقَادٍ أَنَّهَا تُؤَثِّرُ بِذَاتِهَا.

فَدُعَاؤُهُمْ لَمْ يَكُنْ نَابِعًا مِنْ وَهْمِ قُدْرَةِ الْمَخْلُوقِ، بَلْ رَغْبَةً فِي وَسِيلَةٍ تُقَرِّبُهُمْ إِلَى اللَّهِ، مُتَيَقِّنِينَ أَنَّ الْفَضْلَ كُلَّهُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَأَنَّ الْمَعْبُودَ مُجَرَّدُ وَسِيلَةٍ، لَا قُوَّةَ لَهُ بِذَاتِهِ، وَقَدْ أَظْهَرَ اللَّهُ هَذَا الْمَعْنَى فِي عَدَدٍ مِنَ الْآيَاتِ:

**قَالَ تَعَالَى:** { وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى... (3) }[1]

**وَقَوْلُهُ تَعَالَى:** { وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ... (18) }[2]

(1) [ سورة الزمر: (3) ]
(2) [ سورة يونس: (18) ]

أَمَّا المتأَخِّرُونَ فَإِنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ طَلَبِ الشَّفَاعَةِ وَالْقُرْبَةِ، وَاعْتِقَادِ التَّأْثِيرِ بِذَاتِهِ فِي ذَلِكَ؛ فَتَرَاهُمْ يَطْلُبُونَ مِنَ الْمَعْبُودَاتِ الْوَلَدَ، وَالْمَالَ، وَتَفْرِيجَ الْكُرُبَاتِ، وَغَيْرَهَا مِنَ الْحَاجَاتِ، مُعْتَبِرِينَ إِيَّاهَا قَادِرَةً بِذَاتِهَا عَلَى مَنْحِهِمْ مَا يَشْتَهُونَ.

وَيَغِيبُ عَنْ عِبَادَتِهِمْ أَثَرُ الصِّلَةِ بِاللَّهِ كَمَا كَانَ عِنْدَ الْأَوَّلِينَ، فَتَعْلُو فِي قُلُوبِهِمُ الْغَفْلَةُ وَالطَّمَعُ، وَيَسْتَبِدُّ بِهِمُ الِاعْتِقَادُ بِأَنَّ الْمَخْلُوقَاتِ قَادِرَةٌ بِذَاتِهَا عَلَى مَنْحِهِمْ مَا يَرْجُونَ.

فَيَمْتَزِجُ الشِّرْكُ بِالْهَوَسِ بِالْوَسَائِطِ حَتَّى يَصِيرَ أَغْلَظَ وَأَشَدَّ، فَلَا يَعْرِفُونَ حُدُودَ الْحَقِّ، وَلَا يَبْقَى لَهُمْ أَثَرٌ مِنَ التَّوَجُّهِ الصَّافِي إِلَى اللَّهِ.

**رابعًا: من جِهةِ دعوى المُوافقةِ للأنبياءِ:**

المشركون الأوَّلون يَعتقِدون أنَّ ما هُم عليه مُخالِفٌ لِدَعوةِ الأنبياءِ والرُّسُلِ، فإنَّهُم قالوا: {أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (5) } [1]

أمّا المتأخِّرون: فإنَّهُم يَدَّعونَ أنَّ فِعلَهُم مُوافِقٌ لِدَعوةِ الأنبياءِ والرُّسُلِ، فيُزَيِّنونَ الشَّرَّ ويُعَظِّمونَ الفِسقَ، ويُضِلُّونَ النُّفوسَ بِمَزاعِمَ زائِفَةٍ، فيَصيرُ شِركُهُم أَغلَظَ وأَبعَدَ عَنِ الحَقِّ مِن شِركِ الأوَّلينَ.

**خامسًا: مِن جِهةِ الاعتِقادِ في المُلكِ وَالتَّصرُّفِ:**

المشرِكونَ الأوَّلونَ كانوا لا يُشرِكونَ بِاللهِ في شَيءٍ مِنَ المُلكِ وَالتَّصرُّفِ الكُلِّيِّ العامِّ، بَل كانوا يَقولونَ في تَلبِيَتِهِم: " لَبَّيكَ اللهمَّ لَبَّيكَ، لَبَّيكَ لا شَريكَ لَكَ، لَبَّيكَ، إلّا شَريكًا هُوَ لَكَ تَملِكُهُ وَما مَلَك".

أمّا المتأخِّرونَ فجعَلوا لِمَن يُعَظِّمونهُ مُلكًا وَتَصرُّفًا في الكَونِ، وَقَصَدوهُم على أنَّ لَهُم تَدبيرَ العالَمِ وَما يَجري فيه، وَهذا شِركٌ لَم تَعرِفهُ الجاهليَّةُ الأولى، كما حَصَلَ في كَثيرٍ مِنَ المدائحِ النَّبويَّةِ الَّتي نَظَمَها بَعضُ الغالينَ، كَقولِ البوصيريِّ صاحِبِ البُردة:

يا أكرمَ الخَلقِ ما لي مَن ألوذُ بِهِ .... سِواكَ عندَ حُلولِ الحادِثِ العَمَمِ.

(1) [ سورة ص: (5) ]

**سادسًا: مِن جِهةِ التَّسمِيَةِ وَالتَّحايُلِ:**

المشرِكونَ الأوَّلونَ كانوا مُقرِّينَ بِشِركِهِم كما في تَلبِيَتِهِم المذكورةِ آنفًا، وَيُسَمُّونَ رَغبتَهُم إلى مُعَظَّميهِم عِبادةً.

أمّا المتأخِّرونَ فيَزعُمونَ أنَّهُم بِرَبِّهِم لا يُشرِكونَ، وَيُسَمُّونَ رَغبتَهُم إلى مُعَظَّميهِم مَحبَّةً، وَهُم في زَعمِهِم كاذِبونَ، مُتَلَبِّسُونَ بِالتَّحايُلِ على الدِّينِ، يُزَيِّنونَ الفِسقَ وَيُخفونَ حَقيقةَ الشِّركِ عن أَنفُسِهِم وَعنِ الآخرينَ، فَيَنشَأُ عندَهُم تَضليلٌ مُتَعمَّدٌ، وَتَحايُلٌ مَقصودٌ على حُدودِ الحَقِّ، فَيُصبِحُ شِركُهُم أَغلَظَ وَأَشَدَّ غُموضًا وَخُطورَةً مِن شِركِ الأوَّلينَ.

**سابعًا: مِن جِهةِ الرَّجاءِ وَالطَّلَبِ:**

المشرِكونَ الأوَّلونَ كانوا يَرجونَ آلِهَتَهُم في قَضاءِ حَوائِجِ الدُّنيا فَقَط، كَرَدِّ غائِبٍ، وَوِجدانِ مَفقودٍ، وَلا يَجعَلونَهُم عُدَّةً لِيَومِ الدِّينِ؛ لِإنكارِهِم البَعثَ، أَوِ اعتِقادِهِم أنَّ لَهُم عندَ اللهِ بَعدَ البَعثِ مالًا وَوَلَدًا لِحَظوَتِهِم عندَهُ.

أمّا المتأخِّرونَ فيُريدونَ مِن مُعَظَّميهِم قَضاءَ حَوائِجِ الدُّنيا وَالآخِرَةِ مَعًا، كَقولِ القائِلِ:

فَلأَنتَ في الدُّنيا وَفي الأُخرى ... وَفي كُلِّ المواطِنِ عُدَّتي وَنِدائي

وَقولِهِ: "أَنتَ مَلاذُنا لَدَى اليُسرِ وَالإعسارِ وَالسَّهلِ وَالصَّعبِ ."

**ثامِنًا: مِن جِهةِ دَعوَى الحَقِّ وَاللَّوازِمِ:**

المشرِكونَ الأوائِلُ كانوا يَعبُدونَ آلِهَتَهُم وَيُشرِكونَ بِاللهِ، لَكِن لَم يَقولوا يَومًا إنَّ قَصدَها وَدُعاءَها حَقٌّ لَها على العِبادِ، أَو أنَّ تَركَهُ يُعَدُّ جَفاءً وَإزراءً بِها.

أمّا المشرِكونَ المتأخِّرونَ فَزادوا على ذلِكَ، فَزَعَموا أنَّ التَّوجُّهَ إلى الأَولياءِ وَالصَّالحينَ مِن حَقِّهِم الواجبِ، وَأنَّ الإعراضَ عنهم يُعَدُّ تَقصيرًا في جَنابِهِمْ وَانْتِقاصًا مِن مَكانَتِهِمْ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة



وَهَذا مِن أَعْظَمِ صُوَرِ الشِّركِ وَالابْتِداعِ؛ لأَنَّهُ قَلْبٌ لِلْحَقائِقِ، إِذْ جَعَلوا ما هُوَ شِركٌ بِاللَّهِ وَطَعْنٌ فِي التَّوحِيدِ "حَقًّا واجِبًا وَبِرًّا بِالصَّالِحِينَ"، مَعَ أَنَّ الصَّالِحِينَ أَنفُسَهُم نَهَوْا عَن أَنْ يُدعَوا أَو يُصرَفَ لَهُم شَيءٌ مِنَ العِبادَةِ، **كَما قالَ عِيسى عَلَيهِ السَّلامُ:**

**{ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (117) }**[1]

**تاسِعًا: مِن جِهَةِ تَعظيمِ اللهِ وشَعائِرِه:**

المشرِكونَ الأَوَّلُونَ كانوا يُعظِّمونَ اللهَ وشَعائِرَه، فكانوا يُعظِّمونَ اليَمينَ باللهِ، ويُعيذونَ مَن عاذَ باللهِ وببيتِه، ويَعتَقِدونَ أنَّ البيتَ الحرامَ أعظَمُ مِن بُيوتِ أصنامِهم .

أمَّا المتأخِّرونَ فإنَّ أحدَهم يَقسِمُ باللهِ صادقًا وكاذبًا، ولا يُقدِمُ على القَسَمِ بمَن يَعتقِدُ فيه مِن المعظَّمينَ كاذبًا، ولا يُعيذونَ مَن عاذَ باللهِ وببيتِه، ويُعيذونَ مَن عاذَ بمُعظَّمِهم أو بتُربَتِه، ويَعتقِدونَ أنَّ العُكوفَ عندَ المشاهِدِ أعظَمُ مِن العُكوفِ في المساجِدِ، وأكثَرُهم يَرى أنَّ الاستِغاثةَ بإلهِه الذي يَعبُدُه عندَ قبرِه أنفَعُ وأنجَحُ مِن الاستِغاثةِ باللهِ في المسجِدِ .

حَتّى إنَّ كثيرًا منهم قد تَرَكوا المساجِدَ وعمَّروا القُبورَ والمشاهِدَ، فإذا تَوَجَّهوا إلى القَبرِ الذي يُقدِّسونهُ أخَذوا يَرفَعونَ أيدِيَهم باكِينَ، خاشِعِينَ، ذَليلِينَ، خاضِعِينَ، في مَشهَدٍ يَغمُرُهُ الانكسارُ أمامَ البَشرِ، لكنَّهُ غارِقٌ في الغَفلَةِ عن اللهِ، مَشهَدٌ لا يُقارَنُ بما يُحقِّقونَهُ في الجُمُعةِ والجماعاتِ وقيامِ الليلِ وصَلَواتِ الإدبارِ، هناك يَسألونَهم المغفِرَةَ للذُّنوبِ، وتَفريجَ الكُروبِ، والنَّجاةَ مِن النارِ، وأن يُحطَّ عنهم الأوزارَ، فيتجلّى شِركُهم أغلَظَ وأشَدَّ مِن شِركِ الأوَّلينَ.

**عاشِرًا: مِن جِهَةِ الاستِقلالِ والطَّلَبِ:**

كثيرٌ مِن المتأخِّرينَ يَقصِدونَ مَعبوداتِهم وكأنَّها صَرحٌ قائِمٌ بذاتِه، مُستقِلٌّ عن اللهِ، بل رُبَّما يَعتقِدُ بعضُهم أنَّها أعظَمُ مِن اللهِ في مَنحِ النَّفعِ والفَرَجِ، فترتَفِعُ أيدِيَهم إليها،

(1) [ سورة لقمان: (117) ]

www.alukah.net
شبكة الألوكة



ويستَغيثونَ بها، مُتجاوِزينَ حُدودَ الحَقِّ، غافِلينَ عن الفَضلِ الحقيقيِّ للهِ.

أمَّا الأوَّلونَ فقصَدوا مَعبوداتِهم لِتُقَرِّبَهم إلى اللهِ، فهي عندَهم شُفَعاءُ ووَسائطُ، بخِلافِ حالِ أكثَرِ مَن تأخَّر وإن زَعَموا خِلافَهُ.

**الحاديَ عَشَرَ: مِن جِهَةِ نَوعِ الطَّلَبِ:**

المشرِكونَ الأوَّلونَ لم يكونوا يَطلُبونَ مِن آلِهَتِهم كُلَّ ما يَطلُبونَهُ مِن الرَّحمنِ، فلهم ما يَطلُبونَهُ مِن آلِهَتِهم، ولهم مَطالِبُ لا يَطلُبونَها إلّا مِن اللهِ، تَعظيمًا للهِ سبحانهُ وتعالى، فيَجعَلونَ الأعلى مَطلوبًا مِن اللهِ.

أمَّا المتأخِّرونَ فيَطلُبونَ مِن آلِهَتِهم ما لا يَطلُبونَهُ مِن اللهِ، فيَجعَلونَ المطالِبَ العُظمى مِن مَألوهاتِهم، ولا يَطلُبونَها مِن اللهِ.

**الثانيَ عَشَرَ: مِن جِهَةِ الاعتِقاداتِ الباطِلَةِ:**

ظَهَرَ في مُتأخِّري المشرِكينَ مَن زَعَمَ أنَّ اللهَ يَتَجلَّى في صُوَرِ مَعبوداتِه مِن المخلوقاتِ، فهو يَعبُدُهم؛ لأنَّ اللهَ يَتَجلَّى فيهم.

ولم يَكُنْ أحدٌ مِن المشرِكينَ الأوَّلينَ يَعتقِدُ أنَّ اللهَ يَتَجلَّى في صُورَةِ غيرِه مِن المخلوقاتِ.

**الثالِثَ عَشَرَ: مِن جِهَةِ شُموليَّةِ الشِّركِ:**

المشرِكونَ الأوائلُ: كان شِركُهم مَحلِّيًّا وقَبَلِيًّا، ولم يَكُنْ بينهم تَكتُّلٌ عالَميٌّ يُخطِّطُ لِمُحارَبَةِ الدِّينِ وأهلِه.

أمَّا مُشرِكو زَمانِنا: تَكاتَفوا وتَعاوَنوا تَعاوُنًا عالَميًّا على مُحارَبَةِ الدِّينِ وأهلِه، وأحدَثوا المؤتَمَراتِ والتَّجمُّعاتِ الإقليميَّةَ والدُّوليَّةَ لِمُقاوَمَته.

وهذِه الظَّاهِرَةُ تُظهِرُ أغلَظِيَّةَ شِركِ المتأخِّرينَ، إذ جَمَعوا بينَ الشِّركِ العَقائديِّ، والعَمَلِ السِّياسيِّ، والاجتِماعِ العالَميِّ لِمُحارَبَةِ التَّوحيدِ.

**الرّابعَ عَشَرَ: مِن جِهَةِ مَعرِفَةِ بَعضِ مَعاني التَّوحِيدِ:**

المشرِكونَ الأوَّلُونَ كانوا يَعلَمونَ مَعنى «لا إلهَ إلَّا اللهُ»، وهو إفرادُ اللهِ بالعبادَةِ

والإلهيَّةِ، والنَّفيُ والبَراءةُ مِن كُلِّ مَعبودٍ دونَهُ، فَقَد عَلِمَ الكُفّارُ هذا المعنى؛ لأنَّهُم أهلُ اللِّسانِ العَرَبِيِّ، قالَ تعالى: { وَعَجِبُوا أَن جَاءهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (4) أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (5) }[1]

**وقال تعالى حكاية عن قوم هود:** { قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (70) }[2]

أمَّا المتأخِّرونَ فلا يَعلَمونَ مَعناها؛ فالعَجَبُ مِمَّن يَدَّعِي الإسلامَ، وهو لا يَعلَمُ مِن تَفسيرِ هذِه الكَلِمَةِ ما عَرَفَهُ جُهّالُ الكُفّارِ، بَل يَظُنُّ أنَّ التَّلفُّظَ بِحُروفِها يَكفِي مِن غَيرِ اعتِقادِ القَلبِ لِشَيءٍ مِن مَعناها.

فَتَجِدُ أحَدَهُم يَقولُها بِلِسانِه، وهو يُؤَلِّهُ غَيرَ اللهِ بالمحبَّةِ والإجلالِ والتَّعظيمِ والخَوفِ والرَّجاءِ والتوكُّلِ والدُّعاءِ عندَ الكَربِ، ويَقصِدُهُ بأنواعِ العِبادَةِ الصّادِرَةِ عن تَألُّهِ قَلبِه لِغَيرِ اللهِ، مِمّا هو أعظَمُ مِمّا يَفعَلُهُ المشرِكونَ الأوَّلونَ.

والسَّبَبُ في هذا كُلِّه أنَّهُم ما عَلِموا مَعنى «لا إلهَ إلّا اللهُ»، ولا عَلِموا مَعنى العِبادَةِ، ولا عَلِموا مَعنى التَّألُّهِ.

**الخَامِسَ عَشَرَ: مِن جِهَةِ الاعترافِ بِصِفاتِ اللهِ:**

أنَّ المشرِكينَ الأوَّلِينَ لا يُنكِرونَ صِفاتِ اللهِ كإنكارِ المتأخِّرينَ.

**السّادِسَ عَشَرَ: مِن جِهَةِ وُجودِ الإلحادِ المَحضِ عندَ المُتأخِّرينَ:**

المشرِكونَ الأوَّلُونَ كانوا مُقِرّينَ بِوُجودِ اللهِ، لكِنَّهُم وَقَعوا في الشِّركِ حينَ جَعَلوا معَ اللهِ آلِهَةً وأَندادًا يَعبُدونَها مِن دونِهِ، فكانَ اعترافُهُم بالخالِقِ كَالضِّياءِ الذي غَطَّتْهُ غِشاوةٌ مِن الأوهامِ، فَلَم يُنكِروا الأصْلَ، ولكِنَّهُم لوَّثوهُ بِما عَلِقَ بِهِ مِن أباطيلَ، **قالَ تعالى:** { وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ... (25) }[3]، والآياتُ في البابِ كثيرةٌ.

(1) [ سورة ص: (4-5) ]
(2) [ سورة هود: (70) ]
(3) [ سورة لقمان: (25) ]

www.alukah.net
شبكة الألوكة



أمَّا المتأخِّرونَ، فُوجِدَ فيهم مَن تَجاوَزَ الشِّركَ إلى الإلحادِ المحضِ، فأنكَرَ وُجودَ اللهِ بالكُلِّيَّةِ، أو أنكَرَ صِفاتِه وأفعالَهُ، فكانوا كَمَن أطفأَ المِصباحَ مِن أصلِه، وأسدَلَ على قَلبِه سِتارَ الإنكارِ والعَدَمِ، وهذا أغلَظُ وأشَدُّ مِن شِركِ الأوَّلينَ؛ لأنَّ أولئكَ معَ إشراكِهِم ما كانوا يَجهَدونَ الخالِقَ، بَل كانوا يَعترِفونَ أنَّ اللهَ هو الخالِقُ الرازِقُ المحيي المميتُ.

**السّابعَ عَشَرَ: مِن جِهَةِ شُموليَّةِ الشِّركِ لِأنواعِ التَّوحيدِ الثَّلاثَةِ، واتِّساعِ صُوَرِ الغُلوِّ:**

بيْنَما اقتَصَرَ شِركُ الأوَّلينَ غالِبًا على مَسألَةِ الألوهِيَّةِ، إذ كانَ انحِرافُهُم يَدورُ حَولَ العِبادَةِ وَحدَها، فإنَّ مُشرِكي زَمانِنا قد وَسَّعوا الخَرقَ حتّى شَمِلَ أركانَ التَّوحيدِ كُلَّها، فَجَمَعوا بيْنَ الشِّركِ في الألوهِيَّةِ والرُّبوبِيَّةِ والأسماءِ والصِّفاتِ.

فكأنَّ الأوَّلينَ لوَّثوا صَفحَةً نَقِيَّةً بِبُقعَةٍ محدودَةٍ، أمّا هؤُلاءِ فَقَد أراقوا عَلَيها مِدادَ الباطِلِ حتّى اسوَدَّت بأكمَلِها؛ فَلَم يَبقَ فيها مَوضِعُ بَياضٍ، وهكذا صارَ شِركُهُم أعظَمَ وأغلَظَ، إذ أحاطَ بِالتَّوحيدِ مِن أطرافِه كُلِّها، فطمَسَ مَعالِمَهُ، ومَحا أنوارَهُ.

**الثّامِنَ عَشَرَ: كَثرَةُ مَظاهِرِ الشِّركِ وتَنَوُّعُها:**

كانَ المشرِكونَ الأوَّلونَ يَقتَصِرونَ على أصنامٍ وأوثانٍ مَعدودَةٍ، محدودَةِ الصُّوَرِ والأشكالِ، تَدورُ عِبادَتُهُم حَولَها، فلا تَتجاوَزُها إلى غَيرِها.

أمَّا المتأخِّرونَ فقَدِ اتَّسعَت رُقعَةُ الشِّركِ بَينَهُم حتّى صارَت مَظاهِرُهُ كالأمواجِ المتلاطِمَةِ، مُتَنَوِّعَةً في وُجوهِها، مُتَشعِّبَةً في مَسالِكِها: مِن الأضرِحَةِ المشيَّدَةِ، والأولياءِ المتَخَيَّلينَ، إلى الكَواكِبِ المسَخَّرَةِ، والسِّحرِ والشَّعوذَةِ، والدَّجَلِ والتَّمائِمِ، وسائِرِ أبوابِ الوَهمِ والبَاطِلِ، فكأنَّهُم لَم يَترُكوا بابًا مِن أبوابِ الضَّلالِ إلّا ولَجوهُ، ولا شَكلًا مِن أشكالِ الشِّركِ إلّا جَرَّبوهُ، حتّى غَدا شِركُهُم أوسَعَ أُفُقًا وأشَدَّ خَطَرًا مِن شِركِ الأوَّلينَ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة



**التّاسِعَ عَشَرَ: اجتِماعُ الشِّركِ معَ البِدَعِ الكُبرى:**

كانَ شِركُ الأوَّلينَ مَكشوفًا كالشَّمسِ في رابِعَةِ النَّهارِ، لا يَتَستَّرُ بِثَوبِ العِبادَةِ ولا يَتَزَيَّنُ بِعِمامَةِ الشَّرعِ، فبانَ قُبحُهُ لِكُلِّ ذي عَينَينِ، وبَدا باطِلُهُم واضِحًا لِكُلِّ ذي بَصيرَةٍ.

أمَّا المتأخِّرونَ، فقَد نَسَجوا مِن الشِّركِ والبِدَعِ ثَوبًا واحِدًا، وصارَ فِعلُهُم كالسُّمِّ المذابِ في العَسَلِ، يُسقَى لِلنّاسِ في كُؤوسِ العِباداتِ، يُخلِطونَ بَينَ البِدعَةِ والشِّركِ، فيُقيمونَ لِلباطِلِ مِحرابًا، ويَجعَلونَ لِلضَّلالِ صَلاةً ونُسُكًا، حتّى غَدا الباطِلُ عندَهُم حَقًّا مُتَزَيِّنًا بِزينَةِ العِبادَةِ، والضَّلالُ هُدى مَعرُوضًا في صُورَةِ النُّسُكِ والطَّاعَةِ، يَرفَعونَ راياتِ البِدَعِ في مِحرابِ الدِّينِ، ويَغرِسونَ أشواكَ الشِّركِ في بُستانِ التَّوحيدِ، حتّى غَدا النّاسُ في حَيرَةٍ عَمياءَ لا يَدرونَ أيَتَوَجَّهونَ إلى صَرحِ التَّوحيدِ أم إلى أضرِحَةِ الشِّركِ.

ومِن خِلالِ هذِهِ الأوجُهِ تَبَيَّنَ أنَّ شِركَ المتأخِّرينَ أغلَظُ وأشَدُّ، وإنَّما هذا مِن جِهَةِ ما يَتَعَلَّقُ بِشِركِ الدُّعاءِ، غيرَ أنَّ الحُكمَ لا يَقتَصِرُ على هذا البابِ وَحدَهُ؛ إذ إنَّ كُفّارَ قُرَيشٍ في جُملَةِ أمرِهِم كانوا أعظَمَ كُفرًا، وأشَدَّ شِركًا، وأبعَدَ عنِ الحَقِّ؛ إذ قد جَمَعوا إلى شِركِ العِبادَةِ جُحودَ الرِّسالَةِ، وتَكذيبَ المعجِزَةِ، ومُعانَدَةَ الرَّسولِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، ورَدَّ دَعوَتِه، ومُحارَبَتَهُ بِالسَّيفِ واللِّسانِ، وصَدَّ النّاسَ عن سَبيلِ اللهِ، فكانَ شِركُهُم مُركَّبًا مِن أنواعٍ مُتَعَدِّدَةٍ، مُتشابِكَةِ الجُذورِ، مُتَظافِرَةِ الأبعادِ، لا يَقِفُ عندَ حَدٍّ واحِدٍ مِنَ الانحِرافِ، بَل كانَ ضَلالًا في الاعتِقادِ، وكُفرًا في القَولِ، وبَغيًا في العَمَلِ، فَجَمَعوا بَينَ الشِّركِ والجُحودِ والعَداوَةِ والمحادَّةِ للهِ ورَسولِهِ؛ ولِهذا كانَ خَطرُهُم أعظَمَ، وبَلاؤُهُم أعمَّ، وشِركُهُم أثقَلَ وأغلَظَ مِمّا وَقَعَ فيهِ مَن جاءَ بَعدَهُم مِمَّنِ اقتَصَرَ على صُوَرٍ مِنَ الشِّركِ دونَ تِلكَ المكابَرَةِ السّافِرَةِ والمعانَدَةِ الظّاهِرَةِ.

وعَلَيهِ، فالحَديثُ يَنتَقِلُ الآنَ إلى بَيانِ عِظَمِ شِركِ الأوائِلِ ووجوهِ تَغَلُّظِهِ، لِيَتَّضِحَ الفَرقُ بَينَ الطَّرَفَينِ على وَجهٍ أكمَلَ وأبْيَنَ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة



## الفَرعُ الثّاني: بَيانُ أنَّ شِركَ الأوائِلِ كانَ أغلَظَ مِن شِركِ المُتأخِّرينَ:

نَعرِضُ في هذا الفَرعِ وُجوهَ غِلَظِ شِركِ الأوائِلِ مُقارَنَةً بالمتأخِّرينَ، لِنُبَيِّنَ مَدى غِلظَةِ شِركِهِم، وشِدَّةَ كُفرِهِم في جُملَةِ أمرِهِم، وكَيفَ امتَزَجَت صُوَرُ الانحِرافِ في عَقائِدِهِم وأَعمالِهِم حتّى بَلَغَت أَقصى دَرَجاتِ الغِلظَةِ، مُستَنِدينَ إلى ما جاءَ في النُّصوصِ القُرآنيَّةِ والتّاريخيَّةِ، لِيَتَّضِحَ التَّبايُنُ بَينَ مَوقِفِ الأوَّلينَ في جُملَةِ أمرِهِم ومَوقِفِ المتأخِّرينَ، وتَتَمَثَّلُ هذِهِ الأَوجُهُ فيما يَلي:

### أَوَّلًا: مِن حَيثُ الاستِكبارُ عن قَولِ لا إلهَ إلَّا اللهُ:

كانَ كُفّارُ قُرَيشٍ يَستَكبِرونَ عن الإقْرارِ بِوَحدانِيَّةِ اللهِ، فكانوا يَرفَعونَ رُؤوسَهُم عن الحَقِّ، ويَصُدُّونَ عن الإيمانِ بِقَلبٍ مُعانِدٍ، **قالَ تعالى:** { إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (35) }[1]

أمّا المتأخِّرونَ فَقَد قالوها – أي: «لا إلهَ إلّا اللهُ» – وَلكِن خالَفوها بِالفِعلِ، ومَعلومٌ أنَّ الجاهِلَ أخَفُّ جُرمًا مِنَ المعانِدِ.

### ثانِيًا: مِن حَيثُ تَكذيبُ القُرآنِ والاستهزاءُ بالدِّينِ:

إنَّ كُفّارَ قُرَيشٍ لم يَكتَفوا بالشِّركِ في العِبادَةِ، بَل كَذَّبوا بِالقُرآنِ وكَفَروا بِهِ، واستهزَؤوا بِرِسالَةِ اللهِ تعالى، كَما جاءَ في النُّصوصِ القُرآنيَّةِ، **قالَ تعالى:** { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (26)}[2]

**وقال تعالى:** { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ... (31)}[3]

**وقال تعالى:** { وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ (65) لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ (66) }[4]

---

(1) [ سورة الصافات: (35) ]
(2) [ سورة فصلت: (26) ]
(3) [ سورة سبأ: (31) ]
(4) [ سورة التوبة: (56-66) ]

أمَّا المتأخِّرونَ فآمَنوا بهِ وصَدَّقوهُ بِزَعمِهِم، وإنْ كانوا قد خالَفوهُ في التَّطبيقِ؛ وشِركُ مَن كَذَّبَ أصلَ الوَحي أغلَظُ مِن شِركِ مَنِ ادَّعى الإيمانَ بهِ ثُمَّ وقَعَ في مُخالَفَتِهِ؛ لأنَّ الأوَّلَ جُحودٌ صَريحٌ لِلحَقِّ بَعدَ وُضوحِهِ.

**ثالِثًا: مِن حيثُ التَّصديقُ بالنَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –:**

لم يَقتَصِرْ شِركُ كُفّارِ قُرَيشٍ على عِبادَةِ الأصنامِ أو تَكذيبِ الوَحي، بَل تَعَدَّاهُ إلى المهاجَمَةِ الصَّريحَةِ لِلنَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – نَفسِهِ، فَنَسَبوهُ إلى الجُنونِ، والشِّعرِ، والسِّحرِ، والكَهانَةِ، **قال تعالى:** { وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ (36) }[1]

**وقال تعالى:** { فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ (29) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (30) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (31) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُم بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (32) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ (33) }[2]

أمَّا المتأخِّرونَ فَادَّعوا مَحَبَّتَهُ وَنُصْرَتَهُ، حَتَّى خَرَجُوا بِهَا إِلَى مَقَامِ العُبُودِيَّةِ.

وَشِرْكُ التَّكْذِيبِ لِلرِّسَالَةِ أَغْلَظُ فِي ذَاتِهِ مِن شِرْكِ الغُلُوِّ فِي الرَّسُولِ مَعَ الإِقْرَارِ بِرِسَالَتِهِ؛ إِذْ إِنَّ الأَوَّلَ جُحُودٌ صَرِيحٌ لِلْحَقِّ بَعْدَ وُضُوحِهِ، بَيْنَمَا الثَّانِي لَمْ يُنْكِرْ أَصْلَ الرِّسَالَةِ، وَإِنَّمَا بَالَغَ فِي مَحَبَّةِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَتَقْدِيسِهِ.

**رَابِعًا: مِنْ حَيْثُ إِنْكَارُ البَعْثِ وَقُدْرَةُ اللهِ عَلَى الإِحْيَاءِ:**

إنَّ الكُفَّارَ الأوائل أَنْكَرُوا البَعْثَ، وَقُدْرَةَ اللهِ عَلَى إِحْيَاءِ المَوْتَى، **قَالَ تَعَالَى:** {وَقَالُواْ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (29) }[3]

**وقَالَ تَعَالَى:** { وَقَالَ الْمَلأ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاء الآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (33) أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ (35) هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا

(1) [ سورة الصافات: (36) ]
(2) [ سورة الطور: (29-33) ]
(3) [ سورة الأنعام: (29) ]

تُوعَدُونَ (36) إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (37) } [1]

وقَالَ تَعَالَى: { أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (77) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78) } [2]

وقَالَ تَعَالَى: { زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (7) } [3]

أمَّا المتأخِّرونَ فَأقَرُّوا بِذَلِكَ.

**خامِسًا:** لَم يَقتَصِرْ شِركُ كُفّارِ قُرَيشٍ على بابِ الدُّعاءِ وَحدَهُ، بَلِ امتَزَجَت صُوَرُ الانحِرافِ في عَقائِدِهِم وأفعالِهِم، فَجَمَعوا بَينَ الشِّركِ وتَكذيبِ الرُّسُلِ والقُرآنِ، والاستِهزاءِ بِالشَّرعِ، وَهذا يَجعَلُ شِركَهُم مُتَداخِلًا، وَهذا التَّداخُلُ جَعَلَ شِركَهُم أَغلَظَ وأشَدَّ؛ لأَنَّهُ لَم يَكُن مُجَرَّدَ شِركٍ في جانِبٍ واحِدٍ، بَلِ امتِدادٌ مُتَشابِكٌ لِأَنواعِ الكُفرِ، مُتَقاطِعٌ مَعَ جُحودِ الرِّسالَةِ وعَداوَةِ الحَقِّ، على خِلافِ المتَأخِّرِينَ الَّذينَ وَقَعَ شِركُهُم غالِبًا في جانِبِ الدُّعاءِ وَحدَهُ.

أمَّا مِن حيثُ الأعيانِ فَقَد وُجِدَ مَن هُوَ أَشَدُّ وأعظَمُ شِركًا مِنَ الأوائِلِ، فَالمطَّلِعُ على حالِ الرَّوافِضِ وغُلاةِ الصُّوفِيَّةِ يُدرِكُ صِحَّةَ هذا الكلامِ.

(1) [ سورة المؤمنون: (33-37) ]
(2) [ سورة يس: (77-78) ]
(3) [ سورة الملك: (7) ]

www.alukah.net
شبكة الألوكة



## الخاتِمَةُ:

وبَعدَ هذا العَرضِ، يَتَجلَّى أمامَ النَّاظِرِ أَنَّ الشِّركَ مَهما اتَّحَدَ أصلُهُ، فَهُوَ في غِلظَتِهِ واختِلافِ مَظاهِرِهِ كَالبَحرِ المتلاطِمِ، مُتَغَيِّرُ الأَمواجِ بِحَسَبِ الرِّياحِ، فَغِلظَتُهُ وعمقُهُ يَتَبايَنُ بِحَسَبِ الصُّوَرِ والأَبوابِ الَّتي يَطغى فيها، وَبِحَسَبِ قُلوبِ المتَمَرِّدِينَ على الحَقِّ.

فَقَد رَأَينا أَنَّ المشرِكِينَ الأوائِلَ كانوا كَجِبالٍ صُلدٍ، شامِخَةٍ في صَلابَةِ كُفرِها، امتَزَجَ فيها الكُفرُ بِالباطِلِ والعَداوَةِ، فَشِركُهُم لَم يَكُن في بابِ العِبادَةِ فَقَط، بَل مُرَكَّبٌ مِن تَكذيبِ الرِّسالَةِ، وجُحودِ القُرآنِ، ومُعانَدَةِ الرُّسُلِ، وإنكارِ البَعثِ، حتَّى بَدا وكَأَنَّ قُلوبَهُم صُخورٌ تَتَأَجَّجُ بِالنَّارِ، لا يُلِينُها الرَّخاءُ ولا يُشغِلُها البَلاءُ عَن مُعاداتِ الحَقِّ.

لَقَد كانَت أَشَدَّ أَنواعِ الكُفرِ وُضوحًا، كَالشَّمسِ في رابِعَةِ النَّهارِ، لا يُغَطِّيها سِتارٌ، ولا يَخفى لِلعِيانِ سَوادُها.

أَمَّا المتأَخِّرونَ، فَقَد غاصوا في بُحورٍ مُظلِمَةٍ مِنَ الغُلوِّ والشِّركِ، شَبَكوا فيها شِباكَ الهَوى والبِدعِ، حتَّى صارَت عِبادَتُهُم كَجَمرٍ مُستَتِرٍ تَحتَ الرَّمادِ، يَلمَعُ في الظّاهِرِ بِالزِّينَةِ والتَّقديسِ، ويُخبِّئُ تَحتَ لَمعانِهِ الظَّلامَ والضَّلالَ.

لَقَد جَعَلوا مِنَ المخلوقاتِ آلِهَةً، وَمِنَ الوَسائِطِ مَصدَرًا لِلنَّفعِ والضُّرِّ، حتَّى بَدا الضَّلالُ عِندَهُم كَالذَّهَبِ المغْشُوشِ: يَلمَعُ ويُخدِعُ البَصَرَ، ويُغرِي القُلوبَ الطّامِعَةَ، ويُعمِّي عَن نورِ الحَقِّ، فَشِركُهُم أَوسَعُ أُفُقًا، وأَكثَرُ تَنَوُّعًا، وأَشَدُّ غُموضًا مِن شِركِ الأوائِلِ، فَهُوَ كَسَحابٍ أَسوَدَ كَثيفٍ، يَختَلِطُ فيهِ مَطَرُ الغَوايَةِ بِعَواصِفِ الهَوسِ، فلا يَرى المريدُ لِلنُّورِ سِوى ظِلالٍ باهِتَةٍ تَحجُبُ طَريقَ الحَقِّ.

ومِن خِلالِ هذا المشهَدِ المزدَوِجِ يَتَضِحُ أَنَّ لِكُلِّ فَريقٍ صُوَرَ غِلظَةٍ مُختَلِفَةً: الأَوَّلُونَ أَعظَمُ كُفرًا في جَوهَرِ الرِّسالَةِ، كَالبُركانِ الَّذي يَثورُ صَريحًا، يُفضِحُ سُخامَهُ لِكُلِّ مَن يَراهُ، والمتأَخِّرونَ أَعظَمُ غِلظَةً في مَظاهِرِ العِبادَةِ والهَوى، كَأَنَّهُم نَحَتوا مَعابِدَ لِلضَّلالِ، وَزَيَّنوا مَسالِكَ الباطِلِ بِذَهَبٍ باهِرٍ، يُبهِتُ النَّاظِرَ ولا يَترُكُ لَهُ سَبيلًا إلى اليَقينِ.

وَهَذا يُبَيِّنُ لَنا أَنَّ الشِّركَ دَرَكاتٌ، لا تُقاسُ بِعَدَدِ الأصنامِ، بَل بِمَدى انحِرافِ القَلبِ عَنِ الحَقِّ، وبِشِدَّةِ امتِزاجِهِ بِصُوَرِ الكُفرِ الأُخرى، سَواءٌ في جُحودِ الرِّسالَةِ أو الغُلوِّ في العِبادَةِ، وَمِن إدراكِ هذِهِ الحَقيقَةِ يَستَنيرُ العَبدُ، فَيَحمي قَلبَهُ مِن كُلِّ وَهجٍ لِلباطِلِ، ويُثَبِّتُ رُوحَهُ في نورِ التَّوحيدِ، سائِرًا على دَربِ الهِدايَةِ، مُتَمَسِّكًا بِكِتابِ اللهِ وسُنَّةِ نَبِيِّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، بَعيدًا عَن كُلِّ شُعاعٍ مِن ظِلالِ الغَوايَةِ، مُتَّخِذًا مِنَ الصِّدقِ مَعَ اللهِ ميزانًا، ومِنَ التَّوحيدِ قارِبَ النَّجاةِ وَسْطَ بُحورِ الضَّلالِ المتلاطِمَةِ.